حبيبي! حبيبتي!

حبيبي! حبيبتي!

أحسست بألم شديد في ذراعيَّ. كيف لا! وأنا أحمل كيسين كبيرين، في كل يد واحد يزن ٣٥ كغ، لقد وازنتهما بكثير من الدقة، ويديَّ قويتان يمكن أن أحمل مثل هذا الوزن بسهولة كبيرة، عاودت تقديرها، حتما الوزن أكثر من ذلك، لا فرق، قررت المتابعة وعدم التوقف إلا عند حاوية الزبالة، فقد كنت أريد أن أخلص.

"في كيسين زبالة كبار إدام المجلا، تصبح على خير"

قالت زوجتي ذلك ثم تمددت بجانبي على السرير ونامت، نامت بسرعة كعادتها، وصارت تتنفس بمشقة تنفسا أشبه ما يكون بالشخير. قلقتُ ولم أستطع النوم، رحت أراقب جثتها المتطاولة التي تتنفس، رأس وشعر طويل وصدر كبير وبطن وطيز وأفخاذ، مثل كل النسوان. لم أستطع النوم، صرت أنفخ وأنفخ حتى كاد الهواء أن يخلص، يا إلهي! هل الجحيم أسهل من البقاء في هذا المكان؟! كل ثانية تعادل مائة يوم، أي جحيم هذا! وقفت فوق السرير، نظرت إليها من الأعلى، ركعت، تناولت المخدة الناعمة، جلست على بطنها، كمشت شعرها وفتلته بعنف، صار وجهها مقابلي، أطبقت المخدة على أنفها ووجهها وضغطت، ضغطت بكل قوتي، صارت تخبط بيديها ورجليها محاولة الإفلات، ثم هدأت، هدأت تماما، لم تعد تتنفس، تراجعتُ، رميت المخدة كيفما اتفق، تنهدت، تمددت في مكاني على السرير، أشعلت سيكارة، ودخنتها بكل متعة، لأول مرة في حياتي، أستمتع بالسيكارة وأنا أرى زوجتي ميتة لا تتنفس. قفزت من السرير بنشاط، أنرت الضوء، تقدمت منها، كانت مشعثة تنظر بعينين جاحظتين،كمشتها من شعرها وجررتها إلى المطبخ، رميتها أمام المجلا، التفت إلى البراد، باحثا عن الكيس الذي يحوي

السكينة الحادة والساطور فلم أجده في مكانه، ارتفع الدم إلى رأسي، اندفعت إلى أوضة النوم غاضبا لأصرخ بامرأتي، كيف لها أن تعبث بأشيائي؟ تعثرت بصدرها ووقعت، انتابتني ضحكة هازئة من نفسي وتذكرت ما فعلته بها منذ قليل... ولكن هناك مشكلة؛ أين الساطور والسكينة الحادة؟ فعلا هنالك أمام البراد كيسا زبالة كبيران ملونان، يوحيان أن فيهما حلويات وفاكهة، أخيرا وجدتهما على المجلا ولكن الغريب إنهما مليئين بالدماء ورائحة البسطرما تعبق من هذا الدم المسود، لم يأكل البسطرما أحد غيري! زوجتي تكره البسطرما ورائحة البسطرما وصانع البسطرما لا تطيقها، وعندما آكلها تخرج إلى البرندا وتظل حتى انتهي، كذلك فعلت هذا المساء فدعوتها للدخول حتى أصالحها، فهجمت كالمجنونة على الرف حيث تناولت كمامة حتى لا تشم شيئا ووضعتها على أنفها، ثم أمرتني أن أدخل إلى الحمام لأتحمم بأقصى سرعة، وقد استجبت لإرادتها لأنها تثير فيَّ الرعب عندما تكون غاضبة، لحقت بي وصارت تزيل عني ملابسي بعنف وأعطتني صابونة، ثم أتت بنبريش تتدفق منه المياه بقوة وصوبته على رأسي وجسمي وهي تقول "فروك.. فروك حالك يؤصف عمرك شو بتقرف!".

ثم خرجت وراحت تنظف البيت وهي تبرق وترعد وتشتمني. فجأة، ساد صمت ما! ناديتها، فلم تجب! تابعت حمامي مستغربا، لربما خرجت مجددا إلى البرندا، لكن ارتعش كل بدني بلحظة وشعرت برعب شديد، انتبهت لصوت خفيف صدر عن باب المطبخ، ثم ساد الصمت من جديد ناديت زوجتي بصوت كله رعب فلم تجب، اجتاحني برد شديد، التفتُّ صوب الباب بسرعة فوجدت زوجتي قد تسللت وبيدها الساطور مرفوعا إلى الأعلى ثم هوت به على رأسي! انشق رأسي وعلق الساطور بجمجمتي، صارت تشده فلم يكد يخرج! هه! رأسي يابس بما فيه الكفاية! حاولتُ إزالته من جديد ففشلت، ثم سحبتني أنا والساطور إلى المطبخ، تنهدت بعمق وصنعت لنفسها قهوة وجلست إلى الطاولة تدخن سيجارة مع قهوة، تتأملني وتتلذذ بالقهوة وهي في سعادة غامرة.

بعدما انتهت، تناولت السكينة الحادة والمسن وصارت تسنها، ثم اقتربت مني وصارت تعالج الساطور العالق في جمجمتي حتى خرج، رفعت السكينة وهوت به على بطني، السكينة حادة فعلا، صارت تقطعني إلى نصفين ولما اصطدمت العامود الفقري استعانت بالساطور وبضربة واحدة منه صرت نصفين، ثم قطعت رأسي، ويديّ ورجليّ، وجزأتني إلى قطع صغيرة، وعبأتني في كيسي زبالة ووضعتهما أمام البراد، ثم نظفت كل المطبخ وأزالت كل آثار الدماء، في النهاية شعرت بإنهاك شديد فتركت السكينة والساطور من غير أن تنظفهما على المجلا في المكان الذي وجدتهما فيه، عندها عرفت سبب الدماء العالقة عليهما ورائحة البسطرما العابقة منها، ارتفع الدم إلى رأسي وصرخت وقررت أن أنتقم، أتيت بحبل، ربطت رجلي زوجتي بقبضتي البابين، شددتها بأقصى ما أستطيع حتى كادت تشرخ، عندما شققت بطنها انسكبت الأمعاء دفعة واحدة ففاحت رائحة ما، اضطررت لفتح الشباك ثم عبأت أمعاءها، وشققت الصدر وتناولت الرئتين والقلب والطحال، وضعت الأخير جانبا، قررت أن آكله بعد أن أنتهي، الطحال عندي أطيب ما في الذبيحة، ثم فصلت الرأس وأخذت بفصلها نصفين كما يفعل أبو جابر بالخراف، لم أنجح في فصلها إلى قسمين متساويين كما يفعل، إنه حقا لَحَّام ماهر، على الرغم من أني سددت ضربات الساطور بقوة وإحكام على منتصف العامود الفقري بالضبط. لم يكن تقطيع زوجتي وتعبئتها في أكياس الزبالة الملونة بأسهل من تنظيف المطبخ من الدماء وما شابه، فقد وضعت كما أفعل عندما أساعدها في أعمال التنظيف، شريطا راقصا وصرت أعمل بجد.

غريب! لم أكن أتوقع أن تكون الدكاكين مفتوحة في الساعة الرابعة آخر الليل، كل الدكاكين! كل الدكنجية بما فيهم أبو فايز ونزهات، كذلك حسن الفوال وأبو جابر اللحام، وأبو رؤوف الكندرجي، صار الجميع يتسابق على مساعدتي، حقا كم هم لطفاء! حتى أن أبو جابر استوقفني، وقال لي بعد أن عرض المساعدة:

"إستاز، إجت المدام، أخدت الساطور والسكينة الحدة اللي وصيتني عليهن، أللہ يخليك لا تطولوا لنا فيهن، بتعرف أنا بحتاجتن"

"المدام؟ أنو مدام؟!"
"مدامتك إستاز مدامتك"

لم أصل إلى حاوية الزبالة الكبيرة إلا بعد أن أحسست بيدي قد تمزعتا تماما، وضعتهما على الأرض وصرت ألهث، رفعت كيس الزبالة الذي اعتقدته أخف ودفعت به إلى الحاوية فأصدر صوتا قويا: دجج! ثم رفعت الثاني وكان أثقل ودفعت به إلى قعر الحاوية فصاح صوتا أعلى من الأول: دججججج!!

أحسست بشيء ثقيل وقع على ظهري شيء بحجم حاوية زبالة، أفقت فزعا، الصباح عبَّأ أوضة النوم، رائحة البسطرما ما زالت في مخي، بالإضافة إلى رائحة حبق خفيفة، فيروز تغني: "إنت وأنا عم يسألونا كيف... منضل شو بيحلا لنا نغني..."، أللہ! أللہ يا فيروز! ركضت إلى المغسلة، وضعت رأسي تحت حنفية الماء البارد، جاء صوت زوجتي رقيقا ناعما:

"حبيبي!"

دخلت إلى المطبخ، باستني على فمي، وقالت:

"صباح الخير حبيبي"

فقلت وأنا لا أزال مدهوشا أبحث بعيوني عن الساطور والسكينة الحادة:

"صباح الخير حبيبتي"

جلست إلى الطاولة منهكا من التعب، بدأت بتناول القهوة، مرَّرت زوجتي يدها على زريعة الحبق، فثارت رائحة عبقة طيرت شيئا من رائحة البسطرما العالقة في مخي، وظلت عيوني تجوب المطبخ بحثا عن الساطور والسكينة الحادة حتى وجدتهما يلمعان على مشكة الصحون نظيفين وكأنْ لم يمسسهما أحد حتى الآن.

لم تتأخر سيارة الزبالة كثيرا، ابتلعت كل ما في الحاوية بلقمة واحدة، وراحت أسنانها الضخمة تلوك كل النفايات، بما في ذلك كيسان ملونان يوحيان أن فيهما حلويات وفاكهة.